تنظيم القاعدة من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (2)

الجماعة الاسلامية دخلت البوسنة اولا.. وبن لادن ركز على الصومال.. واحمد شاه مسعود خاننا في طاجيكستان

اردت الذهاب للبوسنة فحذرني المشايخ من نساء بني الاصفر الجميلات واقترحوا المشاركة بنشر السلفية في ارتيريا

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعدُ أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها. ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، الذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر الذين يكتنزون معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا في البلد التي ينحدر منها وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحظور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تعطي القارىء صورة عن تنظيم (القاعدة) وتقدم رؤية من الداخل عن زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية. في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن محطته الجهادية الأولى وعن محطاته اللاحقة حتى استقر به الأمر في محطة تنظيم (القاعدة).

البوسنة وكتائب الجهاد

■ ما هي محطتكم الجهادية الأولى، أو ما هي الوجهة الأولى التي انطلقتم إليها عندما قررتم خوض غمار الجهاد؟

■ **كانت محطة انطلاقي الأولى للجهاد البوسنة والهرسك، وكان انطلاقي الجهاد في ذلك الوقت ليس انطلاقا منظما، بقدر ما كان انطلاقا عاطفيا للجهاد، حيث كنت أنظر لما يحدث من مآسي المسلمين في البوسنة ومن ذبح الأطفال والنساء والعجزة ومن هتك للأعراض واغتصاب جماعي للفتيات وما خلفته تلك الحرب من عدد هائل من الأيتام والأرامل، فقررت الذهاب للجهاد كشاب تربىّ على التدين والنخوة ومفعم بالحرارة والغيرة على الدين وعلى المسلمين. وكنت قبلها أتمنى بشدة المشاركة في الجهاد الأفغاني، ولكن شاء الله أن تفوتني تلك الفرصة، فكانت ساحة الجهاد في البوسنة والهرسك بالنسبة لي فرصة، والشباب الذين كانوا يدعوني إلى فكرة الجهاد في البوسنة كانوا يحاولون تحويلي عن تلك الفكرة إلى التوجه باتجاه اريتريا، لكن بعد تفكير عميق هدتني قناعتي إلى الانطلاق نحو البوسنة، رغم أن الشباب كانوا يحكون لي باستفاضة عن الجهاد في إريتريا وعن طريقة القتال فيها وكنت أسألهم: ما هو سبب اندفاعكم إلى الجهاد في إريتريا؟ فكانوا يجيبون بأن ذلك ينطلق من ضرورة نشر الدعوة السلفية هناك وخلق فرصة لهيمنة الحركة السلفية والسلفيين في تلك الساحة، فقلت: يا شباب إذا كان تفكير الأخ الواعي بهذه الطريقة فأنا لا أتفق مع ذلك، ولا أرغب بالذهاب إلى إريتريا، فقالوا سنسهل لك الذهاب إلى أي ساحة جهادية أخرى غير البوسنة، لأن في البوسنة فسادا أخلاقيا وفيها مغريات، وبناتها الأوروبيات وبنات بني الأصفر ربما يؤثرن عليك، قلت: والله لا نريد أن ينطبق علينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين رد على ذلك الصحابي الذي قال أخشى على نفسي من بنات بني الأصفر، وأوضحت أن ساحة البوسنة أكثر أهمية خاصة وأن التوجه الدولي مركزّ عليها كثيرا، ولذلك قررت الانطلاق نحو البوسنة.**

■ متى كان ذلك؟

■ **كان ذلك في شهر جمادي الثاني سنة 1514 هجرية (الموافق 1994)، حيث خرجت حينها من السعودية إلى اليمن في شهر تشرين الاول (أكتوبر) 1994 هاربا من البيت دون إذن من أسرتي، ولعدم امتلاكي جواز سفر دخلت اليمن بتصريح عبور استخرجته من السفارة اليمنية، بشهادة الميلاد وبصورة من بطاقة هوية الوالد التي تثبت جنسيتي اليمنية، وبموجب تلك الوثائق استخرجت بطاقة (هوية) شخصية وجواز سفر يمني من اليمن، وفيها بدأت التدبير من أجل الانطلاق إلى البوسنة، فبقيت في اليمن قرابة سنة، حتى تصاعدت المعارك في البوسنة في صيف 1995 فانطلقت باتجاه البوسنة وكان الهدف من ذلك حب الشهادة والاندفاع ورغبة فيما عند الله عزوجل، وكان هذا دافعي القوي لذهابي للجهاد هناك، وكانت تلك محطتي الجهادية الأولى.**

■ هل وجدت هناك الكثير من المجاهدين العرب، ممن كانوا في أفغانستان؟

■ **وجدنا هناك مجموعتين عربيتين رئيسيتين، مجموعة (أبو الزبير) الحائلي، وهي مجموعة تشكلت من الأخوة الذين كانوا في أفغانستان، من المجاهدين أو الأفغان العرب القدامى الذين خرجوا من هناك، والمجموعة الثانية هي (كتيبة المجاهدين)، وكان الجيش البوسني يعترف بهاتين المجوعتين، ككتائب عسكرية نظامية رسمية، بحكم أن الجيش البوسني كان جيشا منظما، على عكس الوضع الذي كان في أفغانستان، من عصابات وأحزاب وقوى سياسية، حيث كانت البوسنة تحت مظلة دولة وحكومة ورئاسة وجيش منظم. وكانت (كتيبة المجاهدين) العرب التي كانت العقل المسيّس والمنظر الشرعي لها الجماعة الإسلامية المصرية، بقيادة الشيخ أنور شعبان، عليه رحمة الله، وكانت تتشكل من الكثير من المصريين والجزائريين وخليط من الجنسيات الأخرى، وأما (مجموعة الزبير) الحائلي فقد كانت أعضاؤها عبارة عن مجموعة من المقاتلين المحترفين من الأفغان العرب، وكان لهم خبرة سابقة في القتال في أفغانستان، وكانوا عبارة عن مجموعات صغيرة موزعة في مناطق كثيرة، ولكنهم كانوا يلتحمون وقت المعارك الساخنة في كتيبة واحدة، وهاتان هما المجموعتان الرئيسيتان من المجاهدين العرب في البوسنة والهرسك.**

■ كيف كانت طبيعة الاعتراف الرسمي البوسني بهاتين المجوعتين المسلحتين الأجنبيتين؟

■ **كانت هاتان المجموعتان معترفاً بهما رسميا هناك من خلال ضمهما في التشكيل العسكري البوسني حينذاك، حيث كانت كتيبة المجاهدين تحت قيادة الفيلق الثالث للجيش البوسني، كما كانت مجموعة الزبير تحت قيادة ذات الفيلق ولكن في كتيبة أخرى.**

■ هل كان للمجاهدين العرب تأثير عسكري كبير في البوسنة من خلال مشاركتهم وخوضهم للكثير من المعارك؟

■ **إن الفكر لا يواجه إلا بالفكر والعقيدة لا تواجهها إلا العقيدة، وإن الشباب المجاهدين كانوا يذهبون للجهاد من أجل الجهاد ومن ثم من أجل الشهادة، لكن في البوسنة هذا الوضع قد تغيرّ، كانت هناك خلافات بين المجاهدين العرب، لأن البوسنة كانت للتو خارجة من تحت مظلة الحكم الشيوعي، والتي مسح فيها الفكر الشيوعي كل معالم الدين الإسلامي والفهم للإسلام، حتى أننا كنا لا نرى في المساجد سوى العجزة وكبار السن، أما الشباب فلا وجود لهم و لا يعرفون أي شيء عن دينهم، ورأينا بعض الشباب المسلم يعلقون الصليب على رقابهم ولا يعرفون دلالة ذلك، رغم أنهم ينتمون إلى اسر مسلمة وأسماء بعضهم عربية إسلامية. فكانوا يجهلون الإسلام جهلا كاملا، ولذا وجدنا أن المسؤولية الملقاة على عاتقنا في البوسنة كانت أوسع وأشمل من مهمة القتال التي جئنا من أجلها، فكنا نجد أنفسنا قد أصبحنا حملة سلاح وفي ذات الوقت حملة دعوة وحملة كتاب وحملة رسالة، وقمنا بدور لا بأس به في هذا المجال بكل الوسائل المؤثرة والسبل الممكنة، فكان تأثيرنا التوعوي والتثقيفي والفكري في المجتمع البوسني أكبر ربما من تأثيرنا العسكري، علاوة على أن المجاهدين العرب هناك ضربوا أروع الأمثلة في الاستبسال بجبهات القتال وفي حب الاستشهاد، رغم صغر أعمارهم.**

■ هل هذا التأثير يعني أن التواجد العربي كان كبيرا في البوسنة؟

■ **بحكم وضعي العسكري هناك، حيث كنت حارس كتيبة وأسماء جميع (كتيبة المجاهدين) العرب بحوزتي، كان عدد العرب المنضوين في (كتيبة المجاهدين) بالبوسنة 450 شخصا، وبإضافة هذا الرقم إلى عدد أعضاء مجموعة (الزبير الحائلي) ربما يصل العدد الكلي للعرب في البوسنة إلى 1000 عربي، لكنهم رغم قلتهم كانوا يعملون بهمة عشرة أضعافهم.**

جبهة الصومال

■ هل كان المجاهدون العرب في البوسنة يشكلون امتدادا لتنظيم (القاعدة)، أم غير ذلك؟

■ **من معلوماتي الشخصية ومما عرفته أيضا من الشيخ أسامة بن لادن نفسه أن بن لادن أرسل في ذلك الوقت فريقين للجهاد خارج أفغانستان، الفريق الأول أرسله إلى الصومال، والفريق الآخر أرسله إلى البوسنة والهرسك، ولكن الأخير عندما وصل إلى البوسنة وجد أن (الجماعة الإسلامية) المصرية قد سبقت في الوصول إليها، بحكم وجود الشيخ أنور شعبان، الذي كان إماما وخطيبا لجامع ومسجد هناك، ولذا كانت الجماعة الإسلامية المصرية أسرع دخولا إلى البوسنة والهرسك، من عناصر (القاعدة) الذين كانت قيادتهم (أسامة بن لادن) في السودان حينها، كما كانت (القاعدة) أقرب إلى الصومال من غيرها من التيارات الجهادية؛ ولذا عندما وصلت فرقة (القاعدة) المرسلة للبوسنة أرسلت تقارير تبين وجود الجماعة الإسلامية هناك، فقرر الشيخ أسامه حينها توحيد عمله وجهده كله باتجاه القوات الأمريكية في الصومال؛ لأن رؤيته كان مبنية على توقعات وجود رغبة أمريكية في تحويل الصومال إلى قاعدة أمريكية خلفية موازية لتواجدها في الخليج العربي، خصوصا وأن الصومال كانت أرضا سهلة ومناسبة للقتال، وشعبها جائع وفقير، ولذا دخلت القوات الأمريكية إلى الصومال في العملية التي أسمتها (إعادة الأمل)، غير أنها قوبلت بشراسة من المجاهدين الصوماليين ومن تنظيم (القاعدة) الذين تمكنوا من إخراج القوات الأمريكية من الصومال مهينة ذليلة ولقنّوها درسا عسكريا قاسيا، إلا أنه لم تكن هناك تغطية إعلامية محايدة لأحداث الصومال وكنا حينها لا نعلم بوجود عمل جهادي منظم هناك، ولم نعرف بحدوث عمليات جهادية قوية في الصومال ومشاركة تنظيم (القاعدة) فيها إلا عندما ذهبنا إلى أفغانستان وعملنا مع الشيخ أسامة بن لادن، وعرفنا حينها كل شيء عن ذلك، عمن كان يقود العمليات في الصومال ضد الأمريكان وطبيعة العمليات التي نُفذّت هناك وغير ذلك؛ ولذا ان تنظيم (القاعدة) كتنظيم بهذه الراية، لم يكن له وجود واضح في أحداث البوسنة، ولكن التربية الدينية والجهادية التي تربى عليها المجاهدون العرب الذين شاركوا في البوسنة كانت تتجه نحو حب التنظيم وحب العمل المنظم، إيمانا منهم بأنه لا نجاح لأي تجارب عملية جهادية إلا بالعمل المنظم.**

■ بعد انتهاء الحرب في البوسنة إلى أين اتجه (المجاهدون) العرب الذين كانوا فيها؟

■ **قررت مجموعة منهم التوجه نحو الفلبين، ومجموعة اتجهوا نحو الشيشان وكنت ضمن مجموعة ثالثة اتجهت نحو الصومال، ولذا تحولوا من (نيزك) إلى عدة (شهُب).**

■ هل خرجوا جميعا من البوسنة والهرسك؟

■ **الغالبية العظمى منهم خرجوا منها، خصوصاً مواطني الجزيرة العربية، حيث خرجوا منها جميعا، بالإضافة إلى بعض المجاهدين العرب من شمال إفريقيا، وأما القلة القليلة الذين بقوا في البوسنة فهم أولئك الذين لم تسمح لهم ظروفهم الأمنية بالخروج من البوسنة، مثل بعض الأخوة المصريين والجزائريين والتونسيين وغيرهم، لعدم إمكانية عودتهم إلى أوطانهم لأنهم مطلوبون أمنيا فيها، فاضطروا للبقاء في البوسنة، غير أنهم توقفوا عن العمل المسلح واتجهوا نحو النشاط الدعوي والتربوي والعمل الخيري الإغاثي.**

■ عندما غادرتم البوسنة واتجهتم نحو الصومال، هل كان ذلك بتوجيه أو إيعاز من تنظيم (القاعدة)، أم أنه كان بدافع ذاتي لأن (الجهاد) كان قائما هناك؟

■ **كان التفكير بالتوجه إلى الصومال بدافع شخصي جدا، لأنه لم يكن في فترة مشاركتي بالجهاد في البوسنة وجود لأي علاقة بيني وبين عناصر من (القاعدة) أو بيني وبين تنظيم (القاعدة) ذاته، حيث كان كل تفكيري الذي يشغل كياني كله هو الدفاع عن أراضي المسلمين وعن المسلمين أينما كانوا وبالذات الضعفاء والمستضعفين في الأرض، وحب الشهادة والاستشهاد من أجل ذلك، وكان هذا كل ما يملأ رؤوسنا ويشغل بالنا، وأنا شخصيا لم أقابل أسامة بن لادن وجها لوجه ولم أعرفه إلا بعد عودتي من طاجيكستان إلى أفغانستان.**

■ هل تحولتم من البوسنة إلى الصومال مباشرة أم عبر بلد ثالث؟

■ **بحكم عدم إمكانية الانطلاق مباشرة إلى الصومال رجع كل منا إلى بلده، وبعد ذلك بدأنا البحث عن سبل الوصول إلى الصومال، وعن حل لهذه المعضلة التي واجهتنا، وهي بقاؤنا بدون عمل جهادي، وكنا نرى أنه ليس من المعقول أن نبقى هكذا مفرغين من المهمة التي نذرنا أنفسنا لها، وهي الجهاد، خاصة وأننا كنا شبابا غير متزوجين وليست وراءنا مسؤوليات أسرية واجتماعية، وكنا شبابا متفرغين للجهاد، وليس معنا عمل غيره، وكانت حينها قضية الصومال ساخنة وبالذات قضية الإقليم الصومالي المسلم في إثيوبيا، أوجادين، الذي كنا نسمع عن الإضطهادات والظلم فيه، فاتجهت نحو الصومال مع اثنين من الشباب وهما الأخ عبد العزيز المقرن، رحمه الله، والأخ أحمد الخضر، فك الله أسره، المعتقل في سجن يمني بصنعاء، واتفقنا نحن الثلاثة اتفاقا شخصيا مع إخواننا المجاهدين بالذهاب إلى الصومال، وكُلفنا بمهمة الإطلاع على الأوضاع هناك، وعما إذا كان الوضع مناسباً تنظيميا للجهاد أم لا، وكان كل تفكيرنا هو حصول كل منا على التجهيز الشخصي وما يكفيه من سلاح وذخيرة وبعد ذلك سنرتب أوضاعنا الأخرى، وأهم شيء كان هو معرفة هل هناك أمل في المشاركة بالجهاد أم لا، وعلى هذا الأساس انطلقنا.**

■ هل توجهتم نحو الصومال بسبب وجود القوات الأمريكية هناك، أم لأن الصراع ومعاناة المسلمين كانت حاضرة هناك؟

■ **لا، ليس بسبب الأمريكان وإنما لأن الصراع كان قائما هناك بين المسلمين وغيرهم.**

■ لكن ذلك الصراع كان غير واضح المعالم إلا في ظل وجود القوات الأمريكية؟

■ **ليس بالضبط، لأن فترة وجود القوات الأمريكية في الصومال كانت في حدود سنة واحدة فقط، ولم يكن لنا في فترة دخول الأمريكيين وخروجهم من الصومال أي اتجاه بالذهاب إلى هناك، ولكن تعززت قناعتنا بضرورة التوجه إليها بعد إطلاعنا على طبيعة الصراع الإقليمي الدائر هناك بين حركة الاتحاد الإسلامي الصومالية وبين الحكومة الإثيوبية، فكان هدفنا دعم جهود الحركة الإسلامية الصومالية إلا أننا واجهنا هناك الكثير من المشاكل، بسبب اختلاط المصالح الشخصية بالمصالح العامة، وعدم وضوح الرؤية لدى الجميع، ما خلق نوعا من عدم الثقة بيننا وبين قيادات العمل الإسلامي الصومالي وأدى ذلك إلى خلاف بيننا وبينهم، بسبب شكوكهم حولنا بالانتماء لتنظيم (القاعدة) على الرغم من أننا لم نكن مرتبطين بهذا التنظيم حتى تلك الفترة، وتناقشنا معهم كثيرا حول موضوع سلامة نوايانا الجهادية الصافية من الذهاب إلى الصومال للدفاع عن أعراض المسلمين إلا أنهم كانوا يشككون في ذلك وكانوا يسألوننا: لماذا تأخرتم كثيرا عن الوصول إلينا، وتركتمونا لفترات طويلة نقاتل بمفردنا؟ قلنا والله ما كنا نسمع عنكم شيئا لأن صوتكم الإعلامي كان ضعيفا وصوت الآخرين كان أقوى فاتجهنا نحوهم، أي للبوسنة والهرسك ولو كنا سمعنا عنكم من قبل لكنّا جئناكم من وقت مبكر، فهدؤوا بعد ذلك ولكن كانت لهم مواقف سلبية مع تنظيم (القاعدة) عرفتها فيما بعد.**

مكر الاسلاميين الصوماليين

■ لماذا قرر أسامة بن لادن نقل بعض قوات تنظيم (القاعدة) إلى الصومال؟

■ **إن تأثير الأحداث الدولية في الصومال ودخول القوات الأمريكية إليها، كانت المبرر لدخول تنظيم (القاعدة) إليها، حيث فهم تنظيم (القاعدة) دخول الأمريكيين إلى الصومال ليس من أجل سواد عيون الصوماليين وإنقاذهم مما حلّ بهم، ولكن من أجل السيطرة الأمريكية على الصومال ومن ثم الهيمنة على المنطقة، وتحقيق عدة أشياء أولا ضرب الحركة الإسلامية المتفاعلة والمتنامية داخل السودان، ثانيا عملية مد قاعدة أمريكية خلفية في الخليج، بحكم أن الصومال كانت أقرب نقطة انطلاق ومنطقة متاحة أمامهم نحو الخليج العربي، ولأنهم وجدوها بلدا غير آمن اضطروا لمغادرتها وظلوا يبحثوا عن بلد آخر حتى تمكنوا من احتلال العراق، الذي ظنوا أنه يمكن أن يكون قاعدة خلفية لهم ولكنه تحوّل إلى مستنقع.**

■ هل انضممتم في الصومال إلى معسكرات (القاعدة) أم بقيتم وحدكم؟

■ **في الحقيقة كانت معسكرات (القاعدة) تتركز في منطقة كاميوني بينما كنا في الشمال الغربي للصومال، ولم نكن نعرف بالضبط مناطق تواجدهم، وأيضا كانت معاملة الصوماليين السيئة لنا والتكتيم الشديد علينا، ومحاصرتهم إعلاميا لنا، وأطبقوا علينا نوعا من الحصار، ونتيجة لذلك كنا لا نعلم بوجود الأخوة العرب من تنظيم (القاعدة) في منطقة كامبوني ومنطقة بورجابو، فاستأت لهذه المعاملة القاسية، ونظرا لأني كنت أفهم قليلا اللغة الصومالية لمست العديد من محاولات المكر بنا من بعض قيادات الحركة الإسلامية الصومالية في تلك المنطقة، رغم أننا أقبلنا إليهم كمساعدين وداعمين لهم، وكنا نحاول إقناعهم بأننا عبارة عن رُسل لمن خلفنا، ولكنهم لم يقتنعوا بذلك، وبسبب هذا الوضع القيادي السيئ هناك قررنا الانسحاب من الصومال.**

■ هل شاركتم في أي عمليات عسكرية ضد القوات الأمريكية أثناء تواجدكم في الصومال؟

■ **أبدا، لم أشارك في أي معارك في الصومال، لأن الفترة التي دخلت فيها إلى الصومال كان تنظيم القاعدة نفسه قد بدأ بالخروج من الصومال، ولم يبق معه فيها سوى معسكر أو معسكرين فقط، وهذه المعسكرات كانت معسكرات تدريبية فقط، ولم تكن لديه أية عمليات عسكرية إضافية، فقد خرج بعملياته وبقادته العسكريين.**

■ بعد خروجكم من الصومال إلى أين توجهتم؟

الجهاد في طاجيكستان

■ **بعد خروجي من الصومال مرورا بكينيا رجعت إلى بلدي اليمن، ومكثت فيه ما يقارب ثلاثة أشهر، بعدها بدأت التواصل مع الشباب لترتيب سفري إلى طاجيكستان، مرورا بباكستان وأفغانستان، وكانت رحلتي هذه باتجاه المحطة التالية وهي محطة طاجيكستان.**

■ رحلتكم إلى طاجيكستان، كيف كانت وهل من تفصيل حول خلفياتها؟

■ **طبعا جمهورية طاجيكستان كانت ضمن الدول الثماني التي استقلت حديثا عن الاتحاد السوفييتي السابق، وعاصمتها دوشنبيه، واستقلال طاجيكستان كان بحركة إسلامية داخلية بقيادة حزب النهضة الإسلامي، بزعامة السيد عبد الله نوري، طبعا وجهة نظر السوفييت وبقايا الشيوعيين في هذه المناطق لم يتقبلوا فكرة صعود نهضة قوية إسلامية في طاجيكستان، فبدؤوا بشن مجازر ضد المسلمين وضد حزب النهضة، فاضطر الأهالي والمسلمون في طاجيكستان للهجرة والفرار من داخل بلدهم طاجيكستان إلى شمال أفغانستان وتمركز المهاجرون الطاجيك في ولاية بدخشان الأفغانية، وولاية قندز وولاية تخار، ومع تصاعد أحداث طاجيكستان بدأ المجاهدون العرب الذين كانوا ما زالوا في أفغانستان أو الذين خرجوا منها بعد انتهاء الجهاد في أفغانستان وانتقلوا لجبهات أخرى خارجية، بتشكيل مجموعات جهادية باتجاه جبهة طاجيكستان، فتشكلت أول مجموعة بقيادة يعقوب البحر، رحمه الله، وتشكلت مجموعة خطّاب، رحمه الله، الذي استشهد بالمعارك الأخيرة في الشيشان، وتشكلت مجموعة أخرى ولكنها كانت مجموعة غير منضبطة تحت قيادة معينة، وهذا التشكيل الثالث انتهى بسبب عدم وضوح القيادة، وبقيت المجموعتان الرئيسيتان، اللتان شنتا عمليات في داخل طاجيكستان، حتى أن مجموعة يعقوب البحر دخلت إلى أعماق طاجيكستان وبدأت بتنفيذ عمليات عسكرية من داخل العاصمة دوشنبيه، ومجموعة خطّاب بدأت بشن معارك وحملات وضربات من المناطق الحدودية مع أفغانستان إلى مراكز القوات الشيوعية داخل طاجيكستان، وكانت مجموعة خطّاب مدعومة دعما عسكريا رئيسيا من القائد الأفغاني الشيخ عبد رب الرسول سياف، وكان هناك العديد من القادة الميدانيين التابعين لسيّاف يقاتلون مع مجموعة خطّاب وتحت إمرته، وطبعا مجموعة خطّاب أوجعت الشيوعيين وجعا شديدا وضربت لهم أكبر قاعدة في القوات الروسية في طاجيكستان وعملت لهم مجازر عسكرية عنيفة جدا، حتى تم إعلان الهدنة في طاجيكستان بسبب الضغوط الدولية على الحركة الإسلامية، حيث تراجعت بعدها مجموعة خطّاب وخرجت مجموعة يعقوب البحر من طاجيكستان بعد استشهاده هناك إلى أفغانستان، وحينها منهم من اتجه باتجاه البوسنة والهرسك ومنهم من اتجه باتجاه الشيشان، وكان الوضع وقتئذ مع بداية اشتعال قضية الشيشان، فكانت هذه المرحلة الأولى في طاجيكستان، أما المرحلة الثانية هي التي شاركنا فيها، وكنا حينها قد خرجنا من الصومال واتجهنا نحو طاجيكستان، وكانت رحلتي إليها بدأت من اليمن ثم إلى باكستان مرورا بأفغانستان، طبعا عملية انتقالي إلى طاجيكستان تمت بتنسيق مع بعض الأخوة العرب، منهم الأخ حسام بن عتش، رحمه الله، المكنّى المهند الجداوي.**

■ هل جميع الذين انضووا تحت قيادة يعقوب البحر وخطّاب كانوا جميعهم عربا؟

■ **نعم كان أغلبهم عربا، وبالذات الركيزة الأساسية والنواة الأولى لهاتين المجموعتين، وكانوا من الذين يمتازون بالخبرة السابقة على القتال حيث كانوا من الذين شاركوا في معارك جلال أباد بأفغانستان، عام 1988، وكان معهم أخونا حمزة الغامدي الذي ذكره الشيخ أسامة في أكثر من مناسبة لمشاركته في أكثر من ارض، ابتداء من أحداث معركة جاجي عام 1988 مرورا بأحداث جلال أباد عام 1988، وشارك في العديد من المعارك اللاحقة وصمد مع الشيخ أسامة حتى آخر لحظة، حيث كان من ضمن المشاركين في معركة تورا بورا الأخيرة مع القوات الأمريكية.**

■ هل كانت عناصر المرحلة الثانية من الجهاد في طاجيكستان منضوية تحت قيادة المجموعتين السابقتين، أم تشكلت مجموعات جديدة؟

■ **بعد أحداث التجربة الأولى في طاجيكستان اندمج من بقي من مجموعة خطاب مع من تبقى من مجموعة يعقوب البحر، فاندمجوا بشكل مجموعة تحت إمارة أخونا حمزة الغامدي، وكان جميعهم دماء جديدة.**

■ تحت أي مسمى كانت هذه المجموعة؟

■ **أسميت هذه المجموعة بمجموعة الشمال، بقيادة حمزة الغامدي.**

■ وكم بقيتم هناك؟

■ **منذ أن تحركنا حتى رجوعنا بقينا نحو ستة أشهر، لأننا لم نستطع المشاركة في معارك طاجيكستان بسبب الخيانات، من داخل الحكومة الأفغانية السابقة التي كانت حينذاك بقيادة أحمد شاه مسعود، الذي ضيق الخناق على المجاهدين العرب في شمال أفغانستان، حيث خاننا في الطريق وحاولوا الغدر بنا أكثر من مرة.**

■ وما ذا فعلتم بعد ذلك؟

■ **رجعت مجموعتنا بالكامل إلى داخل أفغانستان، وهي التي ـ كما ذكرت ـ كانت تحت مسمى مجموعة الشمال، وكانت هذه المجموعة تتكون من حوالي 36 أخاً عربياً، معظمهم من أبناء الجزيرة العربية، من السعودية واليمن والخليج، باستثناء واحد مصري وآخر مغربي وثالث أوزبكي، أما البقية، الثلاثة والثلاثون، فجميعهم من أبناء الجزيرة العربية.**

■ ما هي الأسباب المباشرة لعملية تراجعكم وكيف كانت؟

■ **تراجعنا بسبب خيانة دليل المجموعة التي كنا فيها، وقد كان طاجيكياً، حيث حاول أن يخوننا ويبيعنا للقوات الروسية، طبعا الروس في تلك الفترة كانوا متوجعين، ولم يستطيعوا أن يتحركوا وأثناء تحركنا باتجاه بعض المناطق الطاجيكية على الحدود الجنوبية بلغّ هذا الدليل القوات الروسية أن هناك 36 مجاهدا عربيا يريدون اقتحام معسكراتكم، طبعا كان نحو 15 مجاهدا عربيا قلبوا ميزان القوى داخل طاجيكستان فما بالك بستة وثلاثين رجلاً، من أصحاب الخبرة العسكرية الجيدة وخارجين بتجارب متعددة وطويلة، وكانت هذه المجموعة تعتبر نواة مشكّلة من أفضل الخبرات الجهادية العربية من مختلف جبهات العالم، فالروس عرضوا جائزة لكل من يسلم لهم عربيا، ووعدوا بمنح 100 ألف دولار لكل من يسلّم لهم مقاتلا عربيا، فتخيلّ 36 مقاتلا في 100 ألف كم سيصل المبلغ؟ حوالي ثلاثة ملايين و600 ألف دولار، فالطاجيكي يبدو أنه طمع بحجم هذا المبلغ الكبير، وقرر تسليمنا للقوات الروسية، ونتيجة لذلك شكلت روسيا قوات كبيرة تجاوزت 35 ألف مقاتل، ونشرتهم على طول الحدود الجنوبية لطاجيكستان (الحدود الطاجيكية الأفغانية) للسيطرة علينا ومنع تغلغلنا داخل الأراضي الطاجيكية. وعندما سمعنا بخبر تحرك القوات الروسية الكبيرة باتجاهنا وقطع الطريق أمامنا قررنا التراجع نحو أفغانستان.**

■ كيف عرفتم بخبر تحرك القوات الروسية باتجاهكم، هل كان لديكم جهاز استطلاعي، أو استخباراتي؟

■ **عرفنا بهذا الخبر عن طريق شاب طاجيكي، تربّى بين الأخوة العرب، مع بداية الأحداث في طاجيكستان، وتعلم منهم اللغة العربية، فكان فيه نوع من الوفاء وقام بهذا العمل لرد الجميل لهم، وقال: لكم فضل كبير عليّ، وأنا أحذرّكم أن دليلكم الطاجيكي قرر تسليمكم للقوات الروسية، فاتخذنا إثر ذلك خطة للانسحاب. طبعا كنت أنا أحد أعضاء مجلس الشورى لهذه المجموعة، المكون من ستة أعضاء، منهم عبد الرحيم الناشري، المكنى بالمُلاّ وأيضا بالفاروق وفاروق المكي وبلال المكي، وأيضا من بينهم أخونا عمر الفاروق الكويتي، وهما معتقلان الآن في أمريكا فرّج الله عنهم، فجاءني الأخ حمزة الغامدي وكنت حينها مريضا بالتيفوئيد وقال لي ما رأيك يا أبا جندل، الأوضاع تأزمت والروس يتحركون باتجاهنا، فقلت له من الأفضل أن نرجع، ما دام أن الظروف صعبة والثلوج قطعت الطرق أمامنا، وإذا شاء الله عز وجل سنعاود الكرّة مرة أخرى في الصيف أو في الربيع، بعدها اخبرني بخبر خيانة الطاجيكي، فقررنا على الفور إرسال اثنين من إخواننا إلى أقرب معسكر في شمال أفغانستان تابع للحزب الإسلامي الذي يتزعمه قلب الدين حكمتيار، لإبلاغهم بوضعنا وأننا ترغب في العودة فأرسلوا إلينا مجموعة مسلحين من أتباعهم ورجعنا تحت حمايتهم حتى وصلنا إلى مدينة فيض آباد عاصمة ولاية بدخشان وهناك بدأنا ترتيب وضعنا، خاصة وأن أغلبنا كانوا مرضى، وقررنا العودة إلى جلال آباد عبر العاصمة كابول التي كانت حركة طالبان بدأت بالزحف باتجاهها وباتجاه معظم الولايات الأفغانية الشمالية وذلك في العام 1996.**

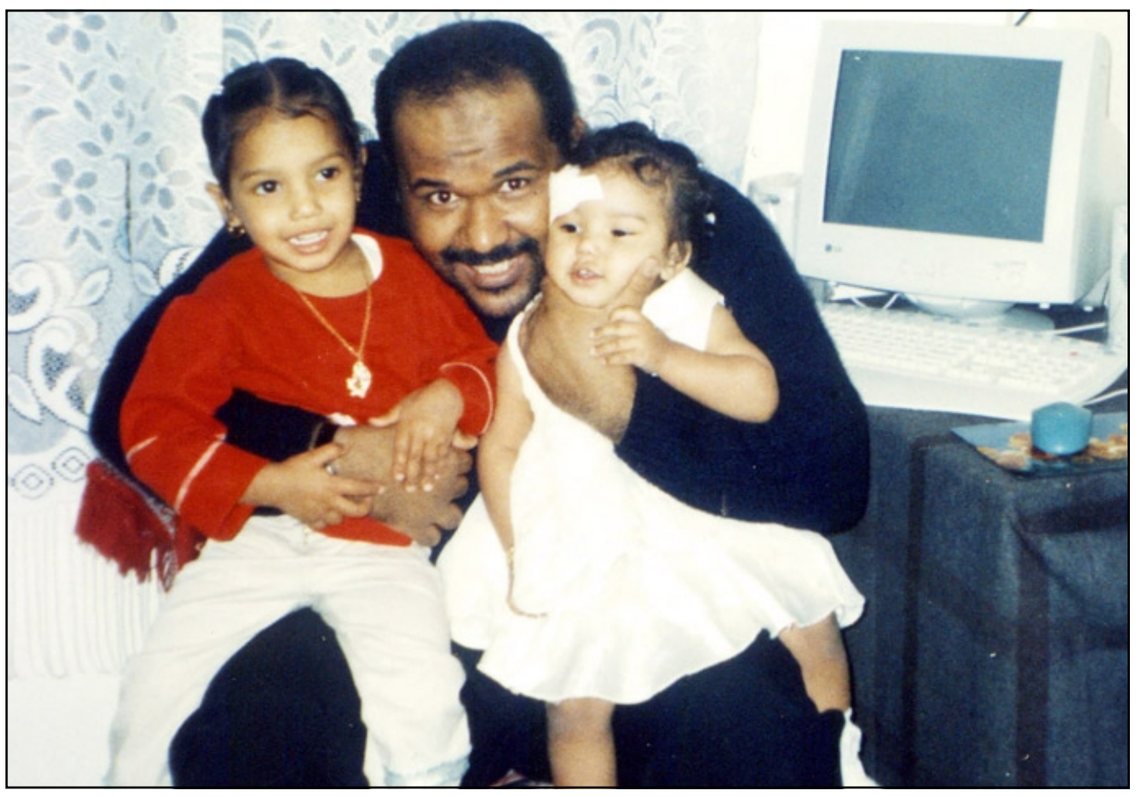

ابو جندل وطفليه

لم نعرف بحدوث عمليات جهادية قوية في الصومال ومشاركة تنظيم (القاعدة) فيها إلا عندما ذهبنا إلى أفغانستان وعملنا مع الشيخ أسامة بن لادن، وعرفنا حينها كل شيء عن ذلك.... عمن كان يقود العمليات في الصومال ضد الأمريكان وطبيعة العمليات التي نُفذّت هناك وغير ذلك

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء